

الكتاتيب

في الحجاز خلال نصف قرن - ١٢٩٥ - ١٣٤٤ هـ

دكتور / عبد اللطيف بن دهايش

معاهد التعليم الاسلامي ونشأتها :

ترتبط نشأة التعليم الاسلامي ارتباطا وثيقا بظهور الاسلام وبالاهتمام بدراسة القرآن الكريم كمصدر اساسي للمعرفة . . والتشريع الاسلامي لهذا الغرض ظهر منذ بداية العصر الاسلامي معاهدان تعليميان اساسيان هما الكتاب والمسجد فاخذنا على عاتقنا تدريس القرآن الكريم والعلوم الاسلامية والعربية الاخرى .

ولقد اهتم الكتاب بتدريس الصغار القرآن الكريم والقراءة والكتابة والحساب . . واهتم المسجد بحلقات الدرس في الدراسات الاسلامية المتخصصة من تفسير وحديث . . وتوحيد وفقه ونحو وادب ونحو ذلك

ثم انه في خلال القرن الرابع الهجري التاسع الميلادي ظهر في العالم الاسلامي نوع ثالث من المعاهد العلمية وهو ما عرف بالمدارس الاسلامية او المدارس النظامية . . وقد تخصصت هذه المدارس بتدريس موضوعات محددة ومتخصصة . كما ان هذه المدارس تميزت بان اصبحت لها منهج معين وانظمة خاصة . وعادة ما كانت ملحقة بالمساجد او في مباني خاصة قريبة منها .

ويهمنا في هذا البحث التحدث عن احدهذه المعاهد وهو الكتاتيب وسوف ندرسها بصورة عامة ثم سنقوم بتقديم دراسة وافية بقدر الامكان عن الكتاتيب في الحجاز خلال النصف الاول من القرن الرابع عشر الهجري تقريبا .

● الكتاب . .

الكتاب جمعها كتاتيب وهو موضع تعليم القراءة والكتابة . وهو احدى المؤسسات التعليمية الهامة التي وجدت في المجتمع الاسلامي لتثقيف الصغار وتربيتهم التربية الاسلامية الجيدة . .

ويرى البلاذري ان الكتاب كان معروفا قبل ظهور الاسلام بدليل انه كان في مكة عدد

كبير ممن يعرفون القراءة والكتابة نظرا لاغراض التجارة ونحوها . ويذكر ايضا ان عدد القرشيين الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة عند ظهور الاسلام لم يتجاوز عددهم سبعة عشر رجلا وهذا يدل على وجود اماكن لتعليم القراءة والكتابة في مكة قبل ظهور الاسلام . [١]

على ان الاستاذ عبد الرحمن صالح عبدالله يرد على ذلك بقوله ((والواقع ان هذا الاستنتاج غير طبيعي ، فالقرشيون كانوا على اتصال بالامم المجاورة لاشتغالهم بالتجارة فهناك احتمال كبير بانهم اخنوا القراءة والكتابة عنم اتصلوا بهم . [٢] . وهذا يعنى ان الكتاب لم يكن معروفا في مكة قبل الاسلام .

والحقيقة ان اماكن تعليم القراءة والكتابة كانت موجودة قبل الاسلام سواء في مكة او غيرها وربما كانت لها اسماء غير اسم الكتاب وكان الهدف من وجودها هو تعليم القراءة والكتابة فقط ذلك لان الاساتذة الذين يقومون بمهمة التدريس في هذه الكتاتيب لم يكونوا قد دخلوا الاسلام .

لكن عندما ظهر الاسلام تأثر التعليم بالروح الاسلامية ووجدت اماكن جديدة للتعليم والتثقيف تمشي مع تعاليم الدين الاسلامي هي الكتاب والمسجد ، وقد طبعها الاسلام بالروح الاسلامية فانتشرت هذه الكتاتيب في كل مدينة او قرية وذلك للرفع من المستوى الثقافي لانباء الامة الاسلامية ، كذلك تم تنظيم الكتاتيب ووضع برامج تعليمية لها ، تركزت في تعليم القرآن الكريم والقراءة والكتابة والحساب ، ولم يعد المنزل هو المكان الوحيد لتلقي التعليم ولكنه امتد ايضا الى المسجد حيث اصبحت كثير من الكتاتيب تحتل بعض زوايا المساجد . ويرجع اهتمام الناس بالتعليم ودراسة القرآن الكريم الى العوامل الرئيسية التالية :

١- ان الدين الاسلامي يحث على القراءة والكتابة فلقد جاء الاسلام ونزلت اول ايات القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم وفيها حث على التعليم قال تعالى :

((اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم)) [١] .

ثم نوه القرآن الكريم في ايات كثيرة باهمية العلم وطلبه ومنزلة العلماء الرفيعة . فقال تعالى :

-
- (١) احمد البلاذري : فتوح البلدان تحقيق صلاح الدين المنجد ، القسم الثالث (مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦م) ص ٥٧٩ - ٥٨٣ .
- (٢) عبد الرحمن صالح : تاريخ التعليم في مكة المكرمة (دار الفكر ، بيروت : ١٩٩٢) ص ٥٢ - ٥٣ .
- (١) سورة العلق ، الايات : ١ - ٥ .

((هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)) [٢]

وقال تعالى : ((يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات)) [٣] .
وقال سبحانه : ((قل رب زدني علما)) [٤]

وقال تعالى : ((وتلك الامثال نضرب للناس وما يعقلها الا العالمون)) [٥] .

وورد في الحديث الشريف ايضا حث للناس على طلب العلم قال النبي صلى الله عليه وسلم (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع) (٦)
كذلك فان الاسلام كان حريصا على نشر العلم والمعرفة ولم يفرق في ذلك بين ذكر وانثى بل جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

وامر النبي صلى الله عليه وسلم بتعلم اللغات الاجنبية غير العربية التي كانت سائدة في ذلك العصر ، ومن ذلك انه صلى الله عليه وسلم كلف زيد ابن ثابت كاتب الوحي في السنة الرابعة من الهجرة بتعلم العبرية لغة اليهود ، وقال له (تعلم كتاب اليهود فاني والله ما امن اليهود على كتاب) وفي رواية اخرى (انه ياتيني كتب من ناس لا احب ان يقرأها احد ، فهل تستطيع ان تعلم كتاب العبرانية ؟ فقال نعم (١)) .
وبذلك نجد ان الاسلام قد اطلق عقول المسلمين وحثهم على التعلم والتفكير والتدبر في ملكوت الارض والسموات .

ومن الاجراءات التي اتخذها النبي صلى الله عليه وسلم للرفع من مستوى التعليم بين المسلمين في صدر الاسلام ان جعل فدية الاسير المتعلم من الكفار مقابل فك اسره بعد غزوة بدر هو ان يقوم بتعليم عشرة من المسلمين الاميين القراءة والكتابة ٣
٢ - اتساع رقعة الدولة الاسلامية قدا دى الى انشاء الدواوين وتعدد اختصاصاتها رغبة من الدولة الاسلامية في تنظيم ادارة الدولة على اسس سليمة فكان لزاما على كل من اراد الالتحاق بخدمة الدولة ان يكون ملم بالقراءة والكتابة المأما جيدا . . وبذلك سارع الناس للتزود بالعلم النافع الذي يخدمهم في دينهم ودنياهم .

(٢) سورة الزمر ، الاية : ٩

(٣) سورة المجادلة ، الاية : ١١

(٤) سورة طه ، الاية : ١١٤

(٥) سورة المتكوت ، الاية : ٤٣

(٦) هذا الحديث عن انس ورواه الترمذى في طلب العلم وقال حديث حسن ورواه ايضا مسلم

وابو داود .

(١) راجع البخارى في باب الاحكام ، وابو داود في العلم ، والترمذى في الاستئذان ، والمقرئ في امتاع الاسماع ج ١ ص ١٨٧ - ١٩٤ ، وابن سعد في الطبقات طبعة ليدن ج ٢ ص ١١٥ ، وتذكرة الحفاظ ، ج ٨ ص ٢٠ ، والطبرى في تاريخه ج ٣ ، ص ٤٢ ، وتاريخ ابن عساکر ، والاستيعاب ، واسد الغابة في ترجمة زيد بن ثابت وفتوح البلدان للبلاذرى ق ٣ ص ٤٨٠

(٢) ابن سيد الناس ، عيون الاثر ، ج ١ (الطبعة الثانية ، دار الجيل ، بيروت : ١٩٧٤م) ص ٢٨٦ -

٢٨٧

ويذكر ان اول من جمع الاولاد فى الكتاب فى الاسلام هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه وامر عامر بن عبد الله الخزاعي ٠٠ ان يلزمهم للتعليم وجعل رزقه من بيت المال وكان منهم البليد والفهيم فامرهم ان يكتب للبليد فى اللوح ويلقن الفهيم من غير كتابه وكان عمر رضى الله عنه يشهدهم على الامور التى يخاف عليها الانقطاع بطول الزمان كالنسب والجنس والولاء ، فساله الاولاد التخفيف فامر المعلم بالجلوس بعد صلاة الصبح الى الضحى العالى ومن صلاة الظهر الى صلاة العصر ويستريحون بقية النهار الى ان خرج الى الشام عام فتحها فمكث شهرا . ثم انه رجع الى المدينة وقد استوحش الناس منه فخرجوا للقائه فتلقاء الصغار على مسيرة يوم وكان ذلك يوم الخميس فباتوا معه ورجع بهم يوم الجمعة فتعبوا فى خروجهم فشرع لهم الاستراحة فى اليومين المذكورين فصار ذلك سنة ودعا بالخير لمن احيا هذه السنة ودعا بضيق الرزق لمن اماتها ٠ (١)

وقد استمر التعليم فى الكتابيب على النحو الذى نشأ فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٠ وفى عهد الدولة الاموية ظهر عدد من المعلمين الموهبين الذين لمعوا فى المجتمع الاسلامى ومن اشهرهم الضحاك ابن مزاحم (١٠٥ هـ) والكوميت ابن يزيد (١٢٦ هـ) وعبد الحميد الكاتب (١٣٢ هـ) ومن اشهر من كتبوا عن الكتابيب اخوان الصفا والغزالي وابن جماعة وابن خلدون، ونصر الدين الطوسي وابن حجر الهيتمي . وقد جمع الاستاذ احمد عبد الغفور عطار هذه الكتابات لـ اخوان الصفاء وغيرهم وقام بتحقيقها ووضعها فى كتاب سماه (اداب المعلمين) ويعتبر هذا الكتاب من احسن الكتب التى كتبت عن طرق التعليم فى الكتابيب وغيرها ٠ واتى بعد اخوان الصفاء القابسي والذى الف كتابا فى تعليم الصبياسماه (التعليم فى راي القابسي) وهناك كتب ورسائل الفت فى هذا الموضوع لايسمح المجال لذكرها ٠

وقد اخذت الكتابيب فى الانتشار فى جميع المناطق الاسلامية واشتملت الدراسة فيها على تعليم الطالب القرآن الكريم تلاوة وحفظا وتجويدا وبعض الاحاديث النبوية والاحكام الشرعية ومبادئ الحساب ٠٠ الى جانب تعليم القراءة والكتابة وحسن الخط ٣) ويهنا فى بحثنا هذا اعطاء دراسة عن الكتابيب فى الحجاز خلال نصف قرن ١٢٩٥ - ١٣٤٥ هـ وقد جاءت هذه الدراسة بعد تقصى شديد ودراسة واسعة لمختلف المصادر والمراجع فى هذا الموضوع ، والتى امكن بواسطتها الحصول على المعلومات

(١) احمد النفاوى ، الفوكة البواني ، (دار الفكر ، بيروت ، د . ت) ص ١٩٢ .

(٢) صدر هذا الكتاب فى بيروت عام ١٣٨٦ هـ .

(٣) عبد الرحمن بن خلدون : كتاب العبر وديوان المتلا والخبر فى ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر - المقدمة (المكتبة التجارية ، القاهرة : ١٩٥٨ م) ص ٣٩٧ -

التالية عن الكتاتيب في الحجاز خلال الفترة المشار إليها أعلاه . وسنقدم أولا دراسة احصائية للكتاتيب في مدن الحجاز الرئيسية ثم دراسة شاملة عنها .

● الكتاتيب في مكة المكرمة خلال هذه الفترة :

جاء في اول تقرير رسمي للحكومة العثمانية عن ولاية الحجاز والذي صدر في عام ١٣٠١ هـ انه كان بمكة المكرمة في عام ١٣٠١ هـ (الموافق ١٨٨٣-١٨٨٤ م) ثلاثة وثلاثون كتابا بها (١١٥٠) طالبا وكانت موزعة في جميع احياء مكة المكرمة على النحو التالي :

الحى	عدد الكتاتيب
سوق الليل	٤
القرارة	٥
القشاشية	٣
شعب عامر	٥
النقا	١
السليمانية	١
المسقلة وجياد	١
الشبيكة	٤
حارة الباب	٣
الشامية	٦
المجموع الكلى (١)	٣٣

ويظهر ان هذا العدد من الكتاتيب قد اخذ في الازدياد المستمر عاما بعد اخر ففي عام ١٣٠٩ هـ الموافق ١٨٩١-١٨٩٢ م جاء في التقرير الرسمي للحكومة العثمانية ان عدد الكتاتيب بمكة المكرمة قد بلغ ٤٣ كتابا وهذا يعكس لنا مدى اهتمام الاهالي بمكة بالتعليم (٢) .

وقد اكد القنصل البريطاني في جدة في تقريره الذى كتبه عن ولاية الحجاز في عام ١٨٨٩ م الموافق ١٣٠٦ هـ اهتمام اهالي مكة المكرمة بالتعليم وان الكتاتيب الخاصة التى تقوم بتأسيسها الطبقة المثقفة فى هذه المنطقة تجد اقبالا شديدا من ابناء مكة وغيرها من المدن فى منطقة الحجاز (٣) .

ويبدو ان عدد الكتاتيب فى مدينة مكة استمر فى الازدياد البطيء كما ان بعض تلك الكتاتيب قد اختفى وظهرت كتاتيب اخرى غيرها وذلك خلال الفترة التى نحن بصدد دراستها وهى الفترة الواقعة بين عام ١٢٩٥ و عام ١٣٤٤ هـ . وبهنا هنا ان نذكر بعض اسماء هذه الكتاتيب واسماء مؤسسيها الاحياء التى وجدت بها :

(١) حجاز ولاية سالنامة ، عام ١٣٠١ هـ الموافق (١٨٨٣ - ١٨٨٤ م) ص ٦٣ .

(٢) حجاز ولاية سالنامة ، عام ١٣٠٩ هـ الموافق (١٨٩٦ - ١٨٩٢) ص ١٠٢ .

F. O 195-1514, Report on the Educational Establishments in the Higaz, Jeddah , 1885, P. 20

● اولا - السكتاتيب الخاصة بتدريس القراءة والكتابة والقرآن الكريم مع بعض

العلوم الاخرى . .

- | | | | |
|--|--------------------|---------------|---|
| اسم الكتاب | المؤسس | تاريخ التأسيس | مكان وجودها |
| ١- كتاب السنارى: عبدالله حمدوه السنارى | | ١٣٠٠ هـ | فى الحرم المكى |
| | | | بساحة باب زيادة ثم حى الشامية |
| | | | ومنه تاسست مدرسة الفلاح (١) |
| ٢- كتاب العجيمى: | احمد عجمى | | اوائل القرن ١٤ هـ - حى الشامية |
| | | | جوار بازار القشاشية [٢] |
| ٣- كتاب الغندوره: | عبد الحى غندوره | | اوائل القرن ١٤ هـ - حى حارة الباب |
| ٤- كتاب النورى: | عبد المعطى ابراهيم | | اوائل القرن ١٤ هـ - ميدان الشبيكة [٣] |
| ٥- كتاب ابراهيم فوده: | ابراهيم فوده | | اوائل القرن ١٤ هـ - حى اجياد |
| ٦- كتاب الماحى: | امين الماحى | | اوائل القرن ١٤ هـ - حى الشبيكة |
| ٧- كتاب العبادى: | حسين العبادى | ١٣١٦ هـ | حى الفلق ثم حى اجياد |
| ٨- كتاب الخزامى: | ابراهيم الخزامى | | اوائل القرن ١٤ هـ - حى سوق الليل |
| | | | مقر مدرسة الفلاح الليلية الان |
| ٩- كتاب خزيم | الشيخ خزيم | | اوائل القرن ١٤ هـ - حى المدعى [١] |
| ١٠- كتاب عبدالفتاح: | الشيخ عبدالفتاح | | اوائل القرن ١٤ هـ - الهجلة حارة الاغوات |
| ١١- كتاب حمود: | الشيخ حمود | | اوائل القرن ١٤ هـ - المسفله قرب البازار |
| ١٢- كتاب مصطفى يغمور: | الشيخ مصطفى يغمور | | اوائل القرن ١٤ هـ - الشامية وكان نواة مدرسة الفلاح بمكة [٢] |
| ١٣- كتاب عبد الحق: | الشيخ عبدالحق | ١٣٩٥ هـ | تاسست منه المدرسة الفخرية [٣] |
| ١٤- كتاب السركتى: | الشيخ احمد سركتى | | اوائل القرن ١٤ هـ : تاسست منه مدرسة الفلاح (٤) . |

(١) يقول الشيخ عمر عبدالجبار : لما فكر الشيخ محمد على زينل فى نشر العلم واشاعته بمكة عرض الموضوع على الشيخ عبد الله حمدوه لتحويل كتابه الى مدرسة اهلية تضم دراسات متنوعة ، فرحب عبد الله حمدوه بالفكره ونقل طلابه الى مبنى جديد بالصفاء ومنهم بنات المدرسة الجديدة التى اسمها الشيخ محمد على زينل واطلق على هذه المدرسة مدرسة الفلاح وكان تاسيسها فى عام ١٢٣٠ هـ الموافق ١٩١١ م . انظر كتابه ، دروس من ماضى التعليم وحاضره بالمسجد الحرام ، ص : ١٥٦ - ١٥٨ .

(٢) تطور هذا الكتاب فيما بعد واصبح مدرسة اهلية وعرف بمدرسة الترقى التعليمية .
(٣) كان هذا الكتاب يحتل المسجد الشهير بمسجد الشيخ مسافر فى محلة الشبيكة وكان يدروس فيه القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة والحساب .

(١) يطلق عليه ايضا كتاب مقراء الفاتحة حيث كان مقره مسجد مقراء الفاتحة بالمضى .
(٢) محمد احمد الشاطرى : محمد على زينل ص ٧٩ .

(٣) عمر عبد الجبار : دروس من ماضى التعليم وحاضره فى المسجد الحرام ، ص ١٥٦ - ١٥٨ . انظر ايضا : احمد السباعى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ احمد السباعى : ابو زامل ، ص ٥ - ٩ ، احمد السباعى : ايامى ، ص ٣ ، ابراهيم الخزامى ، تقرير عن التعليم القديم فى مكة ص ٤ ، احمد القزلاوى ، تقرير عن المؤسسات التعليمية فى العجاز قبل عام ١٣٤٠ ، ص ١٠ ، اسعد عزوز : تقرير عن التعليم فى مدارس الفلاح وغيرها من المؤسسات التعليمية فى العجاز ، ص ٤ ، عبد الله خوجه : تفسير عن المؤسسات التعليمية فى مكة ، ص ٢ .

(٤) عبد الوحمن الصباغ ، تربية النشء ، ج ٢ ص ١٦٦ .

ثانيا - الكتاتيب الخاصة بتعليم الخط:

والى جانب الكتاتيب التى اهتمت بتعليم القراءة والكتابة والقران الكريم وتجويده وبعض العلوم الاخرى وجدت كتاتيب اخرى اهتمت بتعليم طلابها حسن الخط وكتسابه الخطوط بانواعها بجانب بعض العلوم الاخرى كالحساب والهندسة . . والاعمال التجارية وتعرف هذه الكتاتيب احيانا بالخطاطاو كتاتيب الخط واهمها مايلى :

- ١ - كتاب الخلوصى .
- ٢ - كتاب الشيخ محمد حلمى بيباب الصفا داخل المسجد الحرام .
- ٣ - كتاب الشيخ على كتبى وكان مقره دكة باب زيادة بالحرم المكى الشريف .
- ٤ - كتاب الشيخ محمد مرزوقى .
- ٥ - كتاب الشيخ محمود زهدى .
- ٦ - كتاب الشيخ تاج فرج غزاوى وكان مقره دكة باب زيادة .
- ٧ - كتاب الشيخ محمد فرج غزاوى [١] وكان مقره فى منزله ، كما ان تلاميذه كانوا من ابناء امراء واعيان مكة المكرمة .
- ٨ - كتاب الشيخ الفارسى وكان مقره دكة باب السلام .
- ٩ - كتاب الشيخ محمد طاهر عبدالقادر كسردى [٢]
- ١٠ - كتاب الشيخ سليمان غزاوى وكان مقره فى منزله بحارة الباب .
- ١١ - كتاب الشيخ ابراهيم حلوانى (٣) بباب زيادة داخل الحرم المكى .

وقد كانت بعض هذه الكتاتيب الخاصة بتعليم الخط تؤدى وظيفتها فى تعليم الطلاب حسن الخط فى بعض زوايا المسجد الحرام وخاصة فى المنطقة الواقعة بالقرب من باب على ومنطقة باب زيادة داخل المسجد الحرام اما البعض الاخر فكان مقرها منازل اصحابها (٤)

ولم تكن الكتاتيب فى مكة قاصرة على الطلاب فقط وانما وجدت ايضا كتاتيب خاصة بالفتيات يقوم بالتدريس فيها مدرسات من اهالى مكة ، ويدرس فيها مواد مشابهة للمواد التى تدرس للطلاب وهى فى الغالب عبارة عن مواد تعليم القراءة والكتابة وقراءة القران الكريم وحفظه ، والتجويد ، والحساب ، ومبادئ العلوم الدينية ، والاخلاق (٥) .

-
- (١) احمد على اسد الله : تقرير عن ماضى التعليم فى مكة المكرمة ، ص ١ ، انظر ايضا جريدة عكاظ رقم ١١٥٧ بتاريخ ٢٢-٥-١٣٨٧ هـ الموافق ٢٧-٨-١٩٦٧ م .
 - (٢) عمر عبد الجبار : دروس من ماضى التعليم وحاضره فى المسجد الحرام ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .
 - (٣) احمد السباعى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ ، عمر عبد الجبار : المرجع السابق ذكره ص ١٥٧ .
 - (٤) احمد الغزاوى : تقرير عن المؤسسات التعليمية فى الحجاز ص ١٠ .
 - (٥) احمد السباعى : تاريخ مكة ، ج ٢ ص ٢٠٣ محمد سليم حمه الله : تقرير عن التعليم فى الماضى بمكة المكرمة ، ص ٤ .

ومن هذه الكتابات الخاصة بالفتيات الكتابات التالية :

١ - كتاب السيدة اشيسه : وكان تاسيسه في اوائل القرن الرابع عشر الهجرى ومقره المروة .

٢ - كتاب الشامية للبنات : وكان تاسيسه في اوائل القرن الرابع عشر الهجرى ومقره الشامية .

٣ - كتاب المدرسة الصولية للبنات : وكان تاسيسه في عام ١٣٤٠هـ ويقع في حارة الباب بالقرب من المدرسة الصولية واستمر هذا الكتاب حتى عام ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣م وكان عدد المدرسات فيه عند قفله اربع مدرسات وحوالى ١٤٠ طالبة وقد تم تحويل طالبات هذا الكتاب الى المدارس الحكومية (١)

كتاتيب المدينة المنورة :

اما عن كتاتيب المدينة المنورة في نفس الفترة فلقد ورد في سالنامة الحجاز لعام ١٣٠١هـ الموافق (١٨٨٣ - ١٨٨٤ م) انه يوجد بها ثلاثة عشر كتابا انشأها السلطان عبد الحميد ومحمود . وكتاب واحد فقط لتعليم الخط (٢) . وعندهما زار الشيخ على بن موسى المدينة المنورة في عام ١٣٠٣هـ (١٨٨٥ م) . ذكر ان بها اربعة وعشرون كتابا خصص واحدا منها لتدريس مبادئ اللغة الفارسية . (٣)

وورد في تقرير الاستاذ جعفر فقيه عن التعليم في المدينة المنورة انه كان بها في اواخر القرن الثالث عشر الهجرى الموافق اوائل القرن العشرين الميلادى اربعة عشر كتابا . ستة منها داخل المسجد النبوى وثمانية في خارجه . وكانت الكتابات التي بداخل المسجد هي :

١ - كتاب الشيخ مصطفى بن احمد فقيه .

وقد بدا التعليم فيه عام ١٢٧٣هـ ثم خلفه اخوه ابراهيم .

٢ - كتاب الشيخ مصطفى الزهار .

وقد بدا التعليم فيه عام ١٣٠٠ هـ ثم تولاه الشيخ محمد التابعى ثم الشيخ عبد الفتاح ابو خضير .

(١) محمد سليم رحمة الله : تقرير عن التعليم في الماضي بمكة المكرمة ، ص ٥ .
واحمد ابراهيم الغزاوى : تقرير عن المؤسسات التعليمية في الحجاز ص ١٠

(٢) حجاز ولايتى سالنامه سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٣م) ص ١٥١

(٣) وصف المدينة المنورة في سنة ١٣٠٣ هـ ، ص ٤٩ - ٥٠

- ٣ - كتاب الشيخ بازاهيم الطرودى • وقد بدا التعليم فيه عام ١٣٠٠ هـ •
 ٤ - كتاب الشيخ بشير المغربى • وقد بدا التعليم فيه عام ١٣٠٠ هـ •
 ٥ - كتاب الشيخ احمد •
 ٦ - كتاب الشيخ عبيد السنارى والشيخ الحافظ حمدى افندى الذى كان يعلم الخط واللغتين التركية والفارسية •
 اما الكتاتيب الثمانية التى كانت خارج المسجد فكانت فى اماكن متفرقة من المدينة المنورة وهى كالتالى :

- ١ - كتاب الشيخ عبد القادر بشر فى العنبرية •
 ٢ - كتاب الشيخ حامد شيخ فى المرادية بالسيح •
 ٣ - كتاب محمد الغاطى فى المناخه •
 ٤ - كتاب الشيخ عبد القادر الشامى فى مسجد على بن ابي طالب رضى الله عنه •

- ٥ - كتاب الشريف المغربى فى المسحورية •
 ٦ - كتاب الشيخ جلال الياس فى مسجد السبق •
 ٧ - كتاب الشيخ محمد خليل فى قباء •
 ٨ - كتاب الشيخ اسحاق التركى فى مسجد القبلتين (١) •
 و اشار محمد لبيب البتنونى انه رأى بالمدينة المنورة عندما زارها عام ١٣٢٧ هـ الموافق ١٩٠٩م (سبعة عشر مكتبا لتعليم مبادئ العلوم البسيطة (٢))

ويبدو انه كان بالمدينة المنورة فى تلك الفترة اكثر من هذا العدد ولكن من الممكن ان تكون هذه الكتاتيب هى التى عرفها الاستاذ البتنونى عندما زار المدينة ومن المحتمل ايضا انه اثناء زيارته للمدينة المنورة كانت تلك الفترة زيارة الحجاج لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان انخفاض عدد الكتاتيب فى المدينة يرجع الى ان هذه الفترة كانت فترة عطلة يتفرغ خلالها الطلاب والاساتذة لخدمة زوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو المعتاد عند اهالى المدينة المنورة حيث تمثل المواسم الدينية مصدرا كبيرا من مصادر الرزق لاهل البلد •

(١) تقرير خاص عن المؤسسات التعليمية فى المدينة المنورة خلال النصف الاول من القرن الرابع عشر الهجرى ، ص ٣ ، انظر ايضا : على حافظ : تقرير عن ماضى التعليم فى المدينة المنورة ص ٢٠١ ، ٧
 (٢) الرحلة الهجازية ، (الطبعة الثانية ، مطبعة الجعالية ، القاهرة ١٣٢٩ هـ) ص ٢٥٥ •

كذلك كان يوجد بالمدينة المنورة عدد من كتاتيب الخط غالبيتها يحتل بعض زوايا المسجد النبوى ولم نتمكن من الحصول فى المصادر التى بين ايدينا على اى معلومات وافيه عن هذه الكتاتيب وعددها .

والى جانب الكتاتيب المخصصة للاولاد وجدت ايضا كتاتيب خاصة بالفتيات ولكنها كانت محدودة العدد .

وكان التعليم فيها يتمثل فى تعليم الطالبه القرآن الكريم تلاوة مع حفظ بعض الاجزاء واحيانا حفظ كامل القرآن الكريم وذلك حسب رغبة الطالبة ومقدرتها على التحصيل العلمى . وبجانب دراسة القرآن الكريم يتم تعليم الطالبة القراءة والكتابة وبعض احكام الصلاة والصيام والحساب .

هذا ويجب ان نشير الى ان بعض الفتيات يتم تعليمهن فى كتاب الاولاد حتى سن الثامنة فقط ثم لايسمح لهن بمواصلة الدراسة الا فى كتاتيب خاصة بالفتيات .

الكتاتيب فى جده :

اما بالنسبة للكتاتيب فى مدينة جده فى هذه الفترة فلقد ورد فى التقرير الرسمى الذى صدر عن ولاية الحجاز فى عام ١٣٠٥هـ الموافق ١٨٨٨ - ١٨٨٩ م انه كان بجده تسعة كتاتيب مسجلة رسميا (١)

ويظهر ان هذا العدد قد زاد زيادة طفيفة فى العام التالى فلقد ورد فى التقرير الرسمى لولاية الحجاز لعام ١٣٠٦ هـ الموافق ١٨٨٨-١٨٨٩ م ان عدد الكتاتيب بجده اصبح عشرة كتاتيب . وتقوم هذه الكتاتيب بتدريس الطلاب مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وتجويده والحساب (٢)

وفى تقرير للشيخ محمد حسين نصيف جاء فيه انه كان فى جده وقت طفولته عشرة كتاتيب منها على سبيل المثال لا الحصر :

١- كتاب الشيخ عبد المنعم : الذى التحق به الشيخ فى عام ١٣٠٧ هـ الموافق ١٨٨٩ م -

٢- كتاب الشيخ خليل محمد

٣- كتاب الشيخ محمد الدسوقي

٤- كتاب اخر وقفه الشيخ عبد الله نصيف (٣)

ويذكر فضيلة الشيخ محمد نصيف انه كان بجده عدد لا باس به من الكتاتيب التى نخصصت فى تعليم الطالب الخط . ومن اشهرها كتاب الشيخ طه رضوان الذى علم هذا الفن لعدد من ابناء الاغنياء والتجار فى جده (٤) .

(١) حجاز ولاية سائنامه لعام ١٣٠٥ هـ ، ص ٨٩ .

(٢) حجاز ولاية سائنامه لعام ١٣٠٦ هـ ، ص ٦٢ .

(٣) محمد نصيف : تقرير عن ماضى التعليم فى جدة ، ص ١-٣

(٤) التقرير السابق ، ص ٩

وفي عام ١٣١٨ هـ الموافق ١٩٠١ م زار الاستاذ ابراهيم رفعت مدينة جده وذكر ان بها تسعة كتاتيب (١) . ولكن على ما يبدو انه لم يقم بحصر شامل لكتاتيب جده، وربما تكون الكتاتيب التسعة هي الستة استطاق التعرف عليها . كما انه ربما يكون قد استعان في تسجيل هذه المعلومات على التقرير السنوى الصادر من ولاية الحجاز لعام ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٧-١٨٨٨ م لان العدد الذى ذكره يوافق ما ذكره التقرير انفس الذكر .

وبجانب كتاب الاولاد فى جده كتاتيب خاصة للبنات ولم تعثر على عدد لها . ويذكر الاستاذ محمد على مغربى انه كانت توجد فى جده كتاتيب خاصة بالبنات ، وان اهالى جده يرسلون بناتهم الى الفقيهه وهى مؤنث فقيه . وان اشهر كتاتيب البنات فى جده كان كتاب خديجة الشاميه ، وكانت عمياء ولم يكن التعليم فى كتاتيب البنات يختلف كثيرا عن كتاتيب الاولاد (٢) .

الكتاتيب فى المناطق الاخرى من الحجاز:

لم يقتصر وجود الكتاتيب على المدن الرئيسيه فى الحجاز بل لقد انتشرت الكتاتيب فى المدن الصغيره والقرى واصبحت هذه الكتاتيب تحتل زوايا المساجد . لكن المراجع التاريخيه للاسف الشديد قد اغفلت الحديث عن هذه الناحية الحضاريه . وما امكنا العثور عليه يعتبر دليلا على انتشار الكتاتيب فى الحجاز بل فى كافة ارجاء الجزيرة العربيه .

فلقد ورد فى التقرير الرسمى لولاية الحجاز عام ١٣٠٦ هـ انه كان بالطائف اربعة كتاتيب (٣)

وذكر الاستاذ ابراهيم رفعت انه عندما زار مدينة الوجه عام ١٣١٨ هـ الموافق ١٩٠١ م لم يكن بها سوى كتاب واحد قال عنه بانه (مكتب صغير لم اجد به شيئا من كتب التعليم فارسلت له مصحفا مجزء وكثيرا من جزئ عم وتبارك ، ليتعلم فيها اولاد هذه المدينة القران الكريم) (٤)

وفى رحلته الثانية عام ١٣٢٠ هـ الموافق ١٩٠٣ م زار ينبع وذكر بان بها مكتب واحد للتعليم (٥)

(١) مرآة الحرمين (الطبعة الاولى ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٤) ج ١ ، ص ٢٢

(٢) ملاح من الحياة الاجتماعية فى الحجاز خلال النصف الاول من القرن الرابع عشر الهجرى ،

البلاد رقم ٦٦٢١ فى ٢٠ صفر ١٤٠١ هـ الموافق ٢٧ ديسمبر ١٩٨٠ م .

(٣) حجاز ولاية سالنامه لعام ١٣٠٦ هـ ص ٦٣

(٤) مرآة الحرمين ، (الطبعة الاولى ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٤ هـ) ج ١ ص ٤٩٠

(٥) نفس المصدر ج ٢ ، ص ١٣

اماكن الكتائب :

كان مقر الكتاب قبل ظهور الاسلام هو منزل صاحب الكتاب ولكن بعد ظهور الاسلام وانتشار المساجد فى كل مكان لم يعد المنزل هو المكان الوحيد لتلقى التعليم ولكنه امتد الى اماكن اخرى حيث اصبحت بعض الكتائب فى الاربطة وفى النكايات علما بانها وردت توصيات كثيرة طالبت بعلم تعليم الاطفال فى المساجد لان هؤلاء الاطفال لم يكونوا حريصين على نظافة وهدوء المسجد ومن ذلك ما قاله الامام مالك حينما سئل عن جواز اقامة الكتاب فى المسجد فقال (لا ارى ذلك يجوز ، لان الاطفال لا يحتفظون من النجاسة) كذلك ما ورد فى كتب الحسبة ما يؤيد ذلك فقد نصت على انه (لا يستحب تعليم الاطفال فى المسجد) خشية ان يقوم هؤلاء الاطفال بتسويد حيطانها (١)

ولكن بالرغم من هذا التحذير فقد ثبت ان بعض معلمى الكتائب قد اتخذوا لهم من زوايا المساجد او بعض الغرف المحيطة بهامكانا لكتائبهم مهملين لسبب او اخر هذه التوصيات . .

وفى الحجاز انتشرت الكتائب فى اطراف المساجد وفى زوايا المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة واحتل بعض الكتائب منازل اصحابها او فى الاربطة المنتشرة فى هاتين المدينتين وفى المدن الاخرى كما راينا .

وكان الطلاب فى كتائب الحجاز يجلسون على الارض المفروشة عادة بالحصر . . او الحنابل . وقد تطورت بعض هذه الكتائب فاستعملت مساطب او دكك خشبية (مقاعد) طويلة يجلس عليها مجموعة من الطلاب فى منزل صاحب الكتاب فى صفوف متوازية (٢)

ووصف فضيلة الشيخ محمد نصيف الكتاب فى جده بانه عبارة عن غرفة واسعة مفروشة بالحصر وفيها زير ماء اعد لشرب التلاميذ ، ولكن ابناء الاعيان كانوا يأتون الى الكتاب وقد حمل معهم الخدم انية الماء الفخارية (الشربة) ، وفى الظهر يعود هؤلاء الخدم ليملؤوا الانية مرة اخرى (٣)

اما الاستاذ محمد على مغربى فيصف الكتاب بجده بانه : (عبارة عن غرفة فى الدور الارضى من احد المنازل . . مفروشة بالخسف (٤)

(١) احمد فؤاد الاهوانى : التربية فى الاسلام ، (دار المعارف ، القاهرة : ١٩٦٨) ص ٣٢٤ ، ٣٦٢ .

(٢) احمد ابراهيم الفزاوى : تقرير عن المؤسسات التعليمية فى الحجاز ص ٦

(٣) محمد نصيف : تقرير عن ماضى التعليم فى جدة ، ص ٤ .

(٤) ملائح الحياة الاجتماعية فى الحجاز خلال النصف الاول من القرن الرابع عشر الهجرى : البلاد

رقم ٦٦٢١ وتاريخ ٢٠ صفر ١٤٠١ الموافق ٢٧ ديسمبر ١٩٨٠ .

المنهج الدراسي في كتابي الحجاز :

كان المنهج الدراسي في كتابي الحجاز يبدأ بتعليم الطفل الحروف الهجائية ثم الحروف المحركة بالحركات المختلفة ٠٠ ثم دراسة الحروف الابجدية (والمعروفة بالقاعدة البغدادية) ويتم ذلك بان يقوم مدرس الكتابة بكتابة ثلاثة او اربعة حروف من الحروف الهجائية على لوح الطالب وكل حرف مكتوب ثلاث مرات وعليه علامة التشكيل مثل : ب، ب، ب . ويطلب من الطالب قراءة ذلك عدة مرات حتى يحفظها فاذا حفظها قام المدرس بكتابة الحروف الاخرى حسب الترتيب السابق حتى يتم الطالب حفظ جميع الحروف الهجائية بالحركات ٠٠

ثم ياتي بعد ذلك مرحلة الكتابة وتركيب الكلمات . وفي نفس الوقت يقوم الطالب بتعلم بعض السور القصيرة من القرآن الكريم واول سورة يبدأ بقراءتها عادة سورة (الفاتحة) ثم سورة (قل اعوذ برب الناس) ويستمر في قراءة قصار السور حتى يتم جزءم وبعدها ينتقل الى الاجزاء التي تليه حتى نهاية القرآن الكريم . وتكون دراسته للقران الكريم بطريقة تنازلية فيبدأ بالجزء الثلاثين وينتهي بالجزء الاول من القران (١) علما بان الطفل قد لا يكتفى بدراسة القران فقط وانما يقوم بحفظ جزء او اكثر منه وربما يقوم بحفظ القران الكريم بكامله ٠٠ وهذا يعتمد على مقدرة الطفل على الاستيعاب وامكانيات والده المادية .

وفي معظم الكتابات يجب على الطالب ان يجيد القراءة والكتابة ومعرفة مبادئ الحساب (كالاعداد ، ومسائل الجمع والطرح والضرب والقسمه) بجانب حفظه للقران بكامله او اجزاء منه وتجويده وتكون الدراسة في شكل جماعات احيانا او في شكل افراد حسب امكانيات معلم الكتاب . اما بالنسبة لتعليم الخط فانه وجدت كتابات خاصة تقوم بتدريس الطفل الخط حتى يجيده اعادة تامة ، ويقوم الطفل بالالتحاق بهذه الكتابات بعد ان يتم دراسة القران الكريم ، على ان ذلك لم يكن قاعدة وانما وجدت كتابات وضعت ضمن مناهجها لتدريس الطالب مادة تحسين الخط بجانب المواد الاخرى ، ويمكن ان نستشف ذلك من قول الاستاذ عمر عبد الجبار حيث يقول (الحقني والدي مع اخي بكتاب الشيخ عبد الله حمدوه ، قبل فك الحرف كما يقولون

(١) عبد الله خوجيه : تقرير عن المؤسسة التعليمية في مكة المكرمة ، ص ١٢ .
وعلى حافظ : تقرير عن ماضي التعليم في المدينة المنورة ، ص ٤ .

وانظر ايضا :

Snouck- Hurgronje, C. Mekka in the Latter Part of the 19th century,
translated by J. H. Monahan. London: 1931 , PP. 114—115

Zwemer, S. M. Arabia the Gradle of Islam, New York 1912, PP. 43-44

ولما اكتظ ديوان السمان بالطلاب انتقل من باب الزيادة الى باب البساطة في احدى بيوت الاشراف فادخل الشيخ عبد الله حمدوه تحسينات على كتابه اذ قسمه الى صفوف وقرر تعليم الحساب وتحسين الخط بجانب حفظ القرآن وتجويده فازداد الاقبال على كتاب الشيخ عبد الله حمدوه وذاع صيته لا سيما بعد ان شاهد اولياء الطلبة اقبال فلذات اكبادهم على حفظ القرآن وتناوبهم في الامامة بصلاة التراويح ، (١) .

وقال الشيخ عبد القدوس الانصارى ان الاطفال في كتاتيب جده يتعلمون مبادئ القراءة والكتابة والحساب ويحفظون القرآن المجيد كله او سورا منه او اجزاء منه وبعض مبادئ الفقه على ايدي مشايخ تلك الكتاتيب (٢)

ويعرف اصحاب هذه الكتاتيب بين الاهالي في الحجاز بالفقيه او المعلم او الاستاذ او الملا اما الطلاب فكانوا يطلقون على هؤلاء اسم سيدنا او استاذنا . وهذه التسميات تختلف من منطقة الى اخرى او من مدينة الى اخرى . وكان صاحب الكتاب يقوم بمهمة التدريس لجميع الطلاب في كتابه . . . وقديستعين بعض اصحاب الكتاتيب بمدرس اخر يعاونه في مهمة التدريس يطلق عليه عادة اسم (العزيز) بينما الغالب هو ان يستعين صاحب الكتاب بالمتفوقين من طلابه لتدريس الطلاب المبتدئين وقد تصل استعانة صاحب الكتاب بطلابه المتفوقين في انه ينيب احدهم للاشراف على الكتاب اثناء غيابه او قد يرسلهم لاداء بعض حوائجه (٣)

ومعلم الكتاب عادة يحمل قلبا طيبا الا انه يتصف بالشدة والصرامة . . يعاقب الطلاب على اتفه الاخطاء او الحركات . . وكانت الفلقة او الفلكة والعصا هما وسيلة العقاب للطلاب المخطيء او الكسلان . . كما ان المدرس كان يحمل العصا في يده دائما يلوح بها يمينا وشمالا ليرهب بها الطلاب الصغار . فلا عجب اذا هرب الطلاب من الكتاب وكرهوا او تآمروا على معلمهم . . واصبحت لديهم عدم الرغبة في مواصلة دراستهم وان يفضلوا الهروب الى الشوارع للعب والمرح على الدراسة .

ولم تكن السلطات الحاكمة في الحجاز تطلب من اصحاب هذه الكتاتيب موافقتها على فتح مثل هذه الكتاتيب . كما انها لم تضع اى شروط او مؤهلات خاصة بذلك . . بل بإمكان اى شخص لديه الملم بالقراءة والكتابة ان يفتح له كتابا لتعليم الصغار في زاوية المسجد او في منزله الخاص . كما انه بإمكانه قفل هذا الكتاب متى ما اراد ذلك .

(١) عمر عبد الجبار ، دروس من ماضى التعليم وحاضره بالمسجد الحرام ، ص ١٥٨ .

(٢) عبد القدوس الانصارى ، تاريخ مدينة جدة (الطبعة الاولى ، مطابع دار الاصفهاني وشرگاه ، جدة : ١٣٨٣هـ) ، ص ١٤٩ .

(٣) احمد السباعي ، ابو زامل (مكة ، ١٩٥٩م) ص ١ - ١١ ، انظر ايضا احمد بن ابراهيم الفزائوي ، تقريره السابق ، ص ٤ .

الا ان الملاحظ في مدرس الخط ان يكون ملماً بهذا الفن المأماً جيداً يمكنه من تدريس هذا الفن لطلابه بصورة صحيحة وسليمة .

كذلك نجد ان غالبية الطلاب يتم احاقهم بالكتاب في سن الرابعة او الخامسة . . وبعضهم في سن متأخرة وهذا بالطبع جعل اعمار الطلاب في الكتاب متفاوتة . . وهذا التفاوت كان سبباً في خلق اختلافات في قدرات الطالب على التحصيل العلمي وكفاءته وقابليته على الحفظ .

اما الاستاذ محمد علي مغربي فيقول في وصفه لبعض الكتابيب في جده ان (معلم الكتاب هو شيخ من المقرئين يسميه الاطفال سيدنا وقد يساعده احد كبار التلاميذ ويسمى العريف ولم يكن هم هذا الشيخ هو التعليم وانما كان همه جمع القروش القليلة من الاطفال ببيعهم بعض الحلوى او شيئاً من الحمص والفشار باثمان باهظة جداً وتوسط الكتاب سبورة سوداء يكتب عليها الشيخ العريف بعض الحروف الابجدية ويتغنى هو او العريف ثم يتبعه الاولاد في صوت واحد قائلين : (الف لا شيء عليها ، والباء واحدة من تحتها ، والتاء اثنان من فوقها) ومعنى ذلك ان الالف لا شيء عليها اي لا نقطة عليها بينما الباء واحدة من تحتها وهي النقطة التي تحت الباء ، والتاء اثنان من فوقها اي النقطتان التي تميز حرف التاء فاذا تقدم الاطفال وتعلموا الحروف الهجائية في بضعة شهور وحسب سن التلميذ انتقلوا الى تعليمه صفار السور من جزء عم ، فاذا اشتد ساعده قليلاً امر بحفظ بعض صفار السور وهكذا مع تمرينه على مبادئ الكتابة .

هذا هو كل مادة التعليم التي يحتوى عليها الكتاب . . واذا كان والد الطفل متعلماً ومتفتح الذهن فيرسله الى بعض من اشتهروا بحسن الخط في بيوت التجار ليتعلم الكتابة والحساب .

اما الذين يرغبون في تثقيف ابنائهم ثقافة دينية فيسلمونهم الى بعض العلماء الذين يتولون التدريس والوعظ في بعض المساجد ليلازموهم ولكن هؤلاء على اي حال كانوا قلة (١) .

الصرافة والقلابة :

وعندما يتم الطالب دراسة القرآن الكريم واحفظه بكامله او جزء منه يقيم والد ذلك الطالب حفلاً بهذه المناسبة السعيدة فيخرج الطلاب من الكتاب يتقدمهم معلم الكتاب . . وخلفه الطالب المحتفل به ومن حوله بقية طلاب الكتاب في ملابس نظيفة ، واحياناً يمتطي الطالب الذي حفظ القرآن جواداً . . يسير به في مقدمة زملائه من الطلاب

(١) ملاحح الحياء الاجتماعية في الحجاز ، البلاذرقم ٦٦٢١ في ٢٠ صفر ١٤٠١ الموافق ٢٧-١٢-١٩٨٠

ويتوجه الجميع الى منزل ذلك الطالب فى جولة قصيرة عبر شوارع المدينة والجميع يرددون الاناشيد والاهازيج (١) الخاصة بهذه المناسبة (٢) . وعند باب المنزل يستقبل ولى امر الطالب او احد اقاربه هؤلاء الطلاب مع معلمهم ويدخلهم الى الدار وبعد تقديم المرطبات يستمع الجميع الى بعض التلاوة من القرآن الكريم من الطالب الذى حفظ القرآن ثم يتوجه الجميع الى موائد الطعام او تقدم لهم الحلوى التى اعدت خصيصا لهذه المناسبة ويقدم ولى امر الطالب هدية قيمة لمعلم الكتاب مع كسوة جديدة ثم ينصرف الجميع بنفس الحفاوة والترحيب التى استقبلوا بها .

ويضيف الاستاذ محمد على مغربى ان مثل هذه الاحتفالات تعمل ايضا للطالبات . فيقول : (فاذا وصلت البنت (فى جده) الى سورة الضحى عملت لها (الصرافة) - وهى عبارة عن حفلة تخرج فيها الفقيهة . . ومعها البنات تتقدمهن البنت المتخرجة ان صح هذا التعبير وهى تحمل اللوح وقد كتب عليه سورة الضحى فيسرن الى بيت اهل الطفلة الذين يستعدون لهذه المناسبة باستدعاء الاهل والصدقات والجارات . . فاذا وصل الموكب اجلست الفقيهة البنت امام الحاضرات وامرتها بقراءة السسورة فتقرأها فى اللوح وترتفع الزغاريد وتوزع الحلوى على الحاضرات ويوزع النبات (٣) على البنات ثم تبقى الفقيهة لتناول الطعام لدى اهل البنت المتخرجة ولا تخرج الا وقد اتحتف بمبلغ محترم من النقود من والسدة البنت والنقوط (٤) من اهلها وربما اعطيت بدلة كاملة لاجتهادها فى تعليم البنت . . وايصالها الى هذا الحد العظيم من العلم . . اما اذا امت البنت جزء عم فان الحفلة تكون اكبر وتسمى (القلابه) وهى بنفس الترتيب السابق ولا بقاء للبنت فى بيت الفقيهة بعد القلابه لانها يجب ان تتعلم بعد ذلك علوم اخرى . وهذه الاحتفالات تمثل فى نظر ولى امر الطالب او الطالبه وفى نظر المجتمع الشهادة التى تمنحها المدارس الحديثة حيث ان الطالب او الطالبة بعد تخرجهما من الكتاب لا يحصلان على شهادة تخرج من الكتاب (٥)

(١) من هذه الاناشيد النشيد التالى : اللهم صلى على سيدنا محمد الذى جاء بالعق المبين وارسله الله رحمة للعالمين اخرج علينا يارب العالمين ببركة القرآن المبين ، واجعله اللهم رحمة للاولين والآخرين يارب ياكريم .

(٢) عبد الله خوچه : تقريره السابق ، ص ٣٧ .

(٣) نوع من الحلوى

(٤) هيارمى من نقود على لوح الطالب اثناء الاحتفال بالطالب والطالبة من العاضرين للفصل كشجيع للطالب .

(٥) ملاح من الحياة الاجتماعية فى الحجاز خلال النصف الاول من القرن الرابع عشر الهجرى ، البلاد : عدد ٦٦٢١ فى ٢٠-٢١-١٤٠٥ هـ المسوق ٢٧-١٢-١٩٨٠ م .

ادوات الطالب في الكتاب :

وكانت ادوات الطالب في هذه الكتابات تتكون عادة من لوح يكتب عليه المدرس للطالب الحروف او الكلمات او الجمل التي يدرسها فاذا ما اجادها اجادة تامة يقوم الطالب بمسح اللوح في مكان خاص بالكتاب وذلك بمادة تسمى (المضر) مع الماء ، حتى يكون جاهزا لكي يكتب عليه المدرس الدرس الجديد . وبجانب اللوح فان الطالب يجب ان يكون لديه نسخة من القرآن الكريم . . . والجزء الذي يقوم الطالب بدراسته . . . وعادة لا يأخذ الطلاب هذه اللوح والمصاحف الى منازلهم وانما يجب عليهم تركها في الكتاب حتى لا تضيع او تتعرض للتلف . . . علما بأنه في بعض الكتابات لا تتوفر الواح او نسخ من القرآن الكريم كافية لجميع الطلاب وانما يتم تداولها بينهم .

المصاريف الدراسية :

لم يكن التعليم في هذه الكتابات مجانا وانما كان على ولي امر الطالب ان يدفع مبلغا معينا مقابل تعليم ابنه او بنته في الكتاب والمصادر التاريخية والتربوية لم تعطينا معلومات وافية في هذه الناحية ولكن بعد تقصي دقيق امكننا الحصول على هذه المعلومات التالية والتي تبين ما يدفعه ولي امر الطالب مقابل تعليم ابنه في الكتاب في الحجاز . .

فيذكر سنوك هورغونيه والذي زار مكة في اوائل القرن الرابع عشر الهجري ان من عادة اولياء امور الطلاب في الحجاز عندما يلحقون ابناهم بالكتاب لأول مرة ان يدفعوا لمعلم الكتاب مبلغا من المال بالعملة التركية يساوي ربع دولار ويصل احيانا الى دولارين ثم بعد ذلك يدفعون للمعلم كل يوم خميس بضع سنتات . كذلك يمنح الاب معلم الكتاب في الاعياد والمناسبات الدينية . . . والعامه هدايا تلائم قدرة الاب المادية وحينما يتم التلميذ ثلثي القرآن الكريم او نصفه يقدم الاب للمعلم مكافاة تتراوح بين دولار وثلاثة دولارات . اما اذا ختم التلميذ القرآن الكريم فان المعلم ينال من الاب مكافاة سخية تصل احيانا عند الاغنياء الى ما يساوي ثلاثين دولارا وكسوة او جبه (١) .

وعندما افتتح الشيخ حسن العبادي كتابه في مكة المكرمة عام ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م وضع نظاما لكتابه حدد فيه ما يجب على ولي امر الطالب ان يدفعه لقاء تعليم ابنه في الكتاب . . وفيما يلي نص هذا النظام :

١- ان يقدم ولي الامر اولاً للشيخ مجيدين (ريالين تركيه) عند الدخول باسم الفتوح

Snouck—Hurgonje, C. Mekka in the Latter Part of the 19th century, translated by J. H. Monahan, London 1931, PP. 115-116

٢ - ان يدفع الولي للشيخ في كل خميس ربع مجيدى ، اى خمسة قروش باسم الخميسية منها قرش للحصير الذى يجلس عليه التلميذ وقرش للماء وثلاثة قروش للشيخ لقاء تعبه .

٣ - اذ وصل التلميذ الى سورة الفتح او سورة الضحى او سورة عم او سورة تبارك ، فانه يجب على ولي الامر ان يدفع ثلاثة مجيدات للشيخ (ثلاثة ريالات تركية) منها نصف مجيدى للعرىف الذى يقوم بنقش لوح (الاصرافه) بالالوان ، ونصف مجيدى قيمة الالوان والباقى للشيخ مع تقديم شيء من الحلوة البتاسة (١) لتوزع على عموم التلميذ .

٤ - اذا ختم التلميذ القرآن الكريم وجب على ولي امر الطالب ان يدفع للشيخ خمسة عشر مجيديا ، منها مجيديان للعرىف الذى ينقش لوح (الاقلايه) بالالوان الذهبية ، والباقى للشيخ . كما يجب على ولي امر الطالب احضار كمية من الحلوة البتاسة المذهبه والمفضضة لتقسم على عموم تلاميذ الكتاب .

٥ - اذا عمل ولي الطالب لابنه (اقلايه) او وليمة فان الذى يرمى على اللسوح للشيخ دون غيره .

٦ - يجب على ولي الامر ان يقدم فى المناسبات المشبك مع الاكرامية ، اما فى اخر شهر رمضان فعلى الولي ان يبعث بالعيدية منذ يوم ٢٧ رمضان ، وان يسلمها للشيخ (٢)

وقال الشيخ محمد نصيف فى تقريره ان ولي امر التلميذ فى كتابيب جده كان يدفع لشيخ الكتاب قرشين او ثلاثة قروش تركية وتعرف بالخميسية حيث انها تدفع فى كل يوم خميس وتكون بحسب قدرة ولي امر الطالب المادية (٣) .

وغن كتابيب المدينة المنورة فيذكر الاستاذ جعفر فقيه ان الكتابيب الستة التى كانت موجودة داخل المسجد النبوى الشريف كان اصحابها يتقاضون معاشا رسميا من خزانة الدولة العثمانية مقدارة مائتا عثمانى للشيخ ومائة قرش عثمانى للعرىف وهو مساعد الشيخ ونائبه اثناء غيابه .

اما الكتابيب الاخرى فى المدينة المنورة فكان اصحابها يتقاضون اجرهم من اولياء امور الطلاب وان معدل ما يدفعه الاب لمعلم الكتاب شهريا مقابل تعليم ابنه هو ريال مجيدى واحد للشيخ واكثر من نصف هذا المبلغ للعرىف (٤)

(١) نوع من العلوى

(٢) عبد الله خوجة : تقرير عن المؤسسات التعليمية فى مكة ، ص ٢٨ - ٢٩

(٣) محمد نصيف : تقرير عن ماضى التعليم فى جدة ، ص ١٣

(٤) جعفر فقيه : تقرير خاص عن المؤسسات العلمية فى المدينة المنورة خلال النصف الاول من القرن

الرابع عشر الهجرى ، ص ٢ .

اليوم الدراسي والاجازات :

كانت الدراسة فى الكتاتيب تبدأ فى الصباح الباكر وتستمر حتى قبيل صلاة الظهر ثم يعود الطلاب الى منازلهم لتناول طعام الغداء والراحة لمدة حوالى ساعة يعودون بعد ذلك لمواصلة الدراسة حتى اذان العصر . وفى بعض الكتاتيب يواصل الطلاب دراستهم حتى اذان المغرب اما بالنسبة للعطل فهناك عطل اسبوعية هى بعد ظهر يوم الخميس ويوم الجمعة بكامله وعطل دينية فى العيدين وفى المناسبات الدينية والرسمية . وفى ايام هطول الامطار كما انه تمنح عادة اجازة للطلاب عندما يتم احد طلاب الكتاب حفظ جزء من القرآن او كله فيخرج الطلاب جميعهم فى معية الطالب المحتفل به ويتوجهون الى منزله حيث يتناولون الاطعمة او الحلوى التى يعدها والد ذلك الطالب احتفالاً بهذه المناسبة السعيدة ويتم حسب البرنامج الذى ذكرناه اعلاه .

وبالنسبة للمدة الزمنية التى يقضيها الطالب فى الكتاب ، فلم تكن محددة لكنها فى الغالب لاتقل عن سنتين كحد ادنى ، ولا تزيد عن ست سنوات كحد اعلى ، خاصة اذا اراد ولى امر الطالب ان يقوم ابنه بدراسة القرن لكريم حفظاً وتجييداً ،

وبعد توحيد المملكة العربية السعودية اخذت هذه الكتاتيب فى الاختفاء التدريجى وذلك لانضمام طلابها الى المدارس الحكومية التى افتتحتها الدولة فى كل منطقة من مناطق المملكة واخذ التعليم فى المملكة يسير بخطوات حثيثة على احدث اساليب التعليم وحسب منهج اسلامى سليم . مما جعل الحاجة الى مثل هذه الكتاتيب غير مطلوبة ، وذلك لان الدولة اخذت على عاتقها رعاية هذه الناحية وقامت بتوفير المدارس فى كل مدينة وقرية وجلبت لها المدرسين من داخل المملكة ومن خارجها وجعلت التعليم مجانياً للجميع ، بل انها علاوة على ذلك قامت بدفع مكافآت تشجيعية للطلاب حتى يلتحقوا بهذه المدارس .

ثبت المصادر والمراجع

اولا : التقارير الخاصة :

- ١ - اسد الله : احمد على
تقرير عن ماضى التعليم فى مكة المكرمة
- ٢ - حافظ : على
تقرير عن ماضى التعليم فى المدينة المنورة
- ٣ - خزامى : ابراهيم
تقرير عن التعليم فى مكة المكرمة خلال النصف الاول من القرن الرابع عشر الهجرى .
- ٤ - خوجه : عبد الله
تقرير عن التعليم فى الماضى بمكة المكرمة .
- ٦ - عزوز :
تقرير عن التعليم فى مدارس الفلاح وغيرها من المؤسسات التعليمية فى الحجاز
- ٧ - الغزاوى : احمد ابراهيم
تقرير عن المؤسسات التعليمية فى الحجاز .
- ٨ - فقيه : جعفر
تقرير خاص عن المؤسسات التعليمية فى المدينة المنورة خلال النصف الاول من القرن الرابع عشر .
- ٩ - نصيف : محمد
تقرير ماضى التعليم فى جدة .

ثانيا : التقارير الرسمية :

- حجاز ولاية سالنامه (التقرير السنوى لولاية الحجاز) لعام ١٣٠١ هـ .
- حجاز ولاية سالنامه (التقرير السنوى لولاية الحجاز) لعام ١٣٠٥ هـ
- حجاز ولاية سالنامه (التقرير السنوى لولاية الحجاز) لعام ١٣٠٦ هـ
- حجاز ولاية سالنامه (التقرير السنوى لولاية الحجاز) لعام ١٣٠٩ هـ

F, O. 195—1514, Report on the Education Esttablshments in the Hijaz,

Jeddah : 1885, P. 20

ثالثا : الصحف اليومية :

- عكاظ رقم ١١٥٧ وتاريخ ٢٢-٥-١٣٨٧ هـ الموافق ٢٧-٨-١٩٦٧ م .
- البلاد رقم ٦٦٢١ وتاريخ ٢٠-٢-١٤٠١ هـ الموافق ٢٧-١٢-١٩٨٠ م .

رابعا: الكتب العربية :

ابن خلدون : عبد الرحمن

كتاب العبر وديوان المبتداء والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوى السلطان الاكبر ، المقدمة المكتبة التجارية .

القاهرة : ١٩٥٨ م .

ابن سيد الناس : محمد

عيون الاثر فى فنون المغازى والشمال والسير جزءان الطبعة الثانية : دار الجيل

بيروت : ١٩٧٤ م .

الانصارى : عبد القدوس

تاريخ مدينة جدة

الطبعة الاولى : مطابع دار الاصفهاني وشركاه

جدة : ١٣٨٣ هـ

الاهوانى : احمد فؤاد

التربية فى الاسلام

دار المعارف ، القاهرة : ١٩٦٨ م .

البتونى : محمد لبيب

الرحلة الحجازية

الطبعة الثانية ، مطبعة الجمالية

القاهرة : ١٣٢٩ هـ

البخارى : محمد بن اسماعيل

صحيح البخارى - مجلدان

المجلس الاعلى للشئون الاسلامية

القاهرة : ١٣٨٧ هـ

البلاذرى : احمد

فتوح البلدان

تحقيق صلاح الدين المنجد ، القسم الثالث مكتبة النهضة المصرية .

القاهرة : ١٩٥٦ م

رفعت : ابراهيم

مرآة الحرمين

الطبعة الاولى ، مطبعة دار الكتب المصرية .
القاهرة : ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م .

السباعي : احمد

تاريخ مكة - ٢ جزء ، الطبعة الرابعة ، دار مكة للطباعة
مكة المكرمة : ١٣٩٩ هـ

السباعي : احمد

ابو زامل

الطبعة الثانية ، مطابع دار قريش
مكة المكرمة : ١٣٧٩ هـ

السباعي : احمد

ايامي

الطبعة الاولى ، مطابع دار قريش
مكة المكرمة : ١٣٩٠ هـ

الشاطبري : محمد احمد

محمد علي زينل

الطبعة الاولى ، دار الشروق
جدة : ١٩٧٧ م

الصباغ : عبد الرحمن

تربية النشء في المنزل والمدرسة والمجتمع ، ٢ جزء
القاهرة : ١٣٨١ هـ

عبد الجبار : عمر

دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام
الطبعة الاولى : دار مغيص للطباعة .
القاهرة : ١٩٥٩ م .

عبد الله : عبد الرحمن صالح

التعليم في مكة المكرمة

دار الفكر ، بيروت : ١٣٩٢ هـ

عطار : احمد عبد الغفور (محقق)

اداب المعلمين ورسائل اخسرى في التربية الاسلامية ، تاليف اخوان الصفا
واخرون

بيروت : ١٣٨٦ هـ
الطبري : احمد بن جرير
تاريخ الامم والملوك

موسى : على

وصف المدينة المنورة في سنة ١٣٠٣ هـ الموافق ١٨٨٥ م
الطبعة الاولى ، منشورات دار اليمامة مطبعة المثني

بيروت : ١٣٩٢ هـ

النقرواي : احمد

الفواكه الدواني

ادر الفكر ، بيروت : د . ت .

خامسا : الكتب الاجنبية :

Snouck- Hurgronije. C. Mekka in the Latter Port of The 19th Cenuty

Translated by. J. H. Monahan, London 1931

Zwemer , S. M.

Arabia the Gradle of Islam. New York : 1912

